الفلسطينية والخروج بها الى حيز الوجود في وقت كانت « الكلمة » فيه وحدها القادرة على الفعل والتأثير .

فعندما كلفه الملوك والرؤساء العرب ، في مؤتمر قمتهم الاول بالقاهرة سنة ١٩٦٣ ، ان يقوم بالاتصالات لتنظيم الحياة السياسية لابناء فلسطين ، لم يجودوا عليه بأكثر من ثلاثة او اربعة سطور لا تغني ولا تسمن من جوع جاء فيها :

« يستمر السيد احمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الاعضاء والشعب الفلسطيني بغية الوصول الى اقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » .

توصية عامة لا ذكر فيها لكلمة « كيان » او « منظمة » او « شخصية وطنية » او اي شيء من هذا القبيل : غامضة وملغمة ، وترجح الاتصال بالدول ، وتعطيه اولوية على الشعب صاحب القضية .

وكان الله في عون الشقيري : وراءه شعب لا يرحم يريده ان يقول لـ « الكيان » كن فيكون ، ووفق تأملات وتصورات لا حدود لها ، وامامه حكام لا يرحمون : لكل واحد منهم هواه وسياسته وتحالفاته ونكاياته .

وبهمة يحسد عليها من كان في عمره ، راح الشقيري يسعى ويجتهد ويجهد ، يحمل في حقيبته مسودة لميثاق قومي ونظام اساسي لما عرف فيما بعد بمنظمة التحرير الفلسطينية . وانطلق من القاهرة التي منحته الضوء الاخضر ، وغط في عمان حيث كان بانتظاره اضخم العقد والعقبات ، ولا سيما بالنسبة للعلاقة بين « الارض » و « الكيان » . فان شمل الكيان الارض ، فالنظام في الاردن لن يقبل وسيعارض : لان ذلك يعني انسلاخ الضفة عن المملكة . وويل الشقيري ان هو اغضب النظام في عمان ، وويله ان سايره مما ينتظره في دمشق محطته التالية على دروب الالام . فموقف النظام السوري ، يومئذ ، كان يتلخص في دعوة الى ضرورة تخلي الاردن عن الضفة وتخلي مصر عن قطاع غزة واعادتهما لشعب فلسطين تحت قيادة حركته المنشودة .

كان الشقيري كمن يريد ان ينجو من البلل وهو يمشي تحت سماء ممطرة ، بل فاتحة لكل قربها . ولكنه ، وباسلوب العارف بطبيعة الحكام ، واعتمادا على تأييد جماهيري عارم لم تخفف منه « المعارضة » الفلسطينية ، استطاع الشقيري ان ينتزع موافقة العديد من عواصم العرب ، كما استطاع ان ينتصر على خصومه في الساحة الفلسطينية : الجدد منهم والقدامى .

وفي الثامن والعشرين من ايار (مايو) ١٩٦٤ ، استطاع الشقيري ان يعقد ذلك اللقاء التاريخي في فندق « انتركونتيننتال » ، فوق احدى روابي مدينة التاريخ التي كل منها التاريخ ولم تكل هي منه : القدس .

ولاول مرة ، بعد ستة عشر عاما من التيه والضياع والتمزق ، التقى الفلسطينيون بعضهم بالبعض ، وهم حيارى ، فرحين بنشوة اللقاء ، قلقين من تحمل المسؤولية الوطنية من جديد .